الدرس الرابع من شرح القواعد الأربعة

بسم الله و الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن إتبع هداه ، أما بعد، فهذا هو المجلس الرابع في شرح القواعد الأربعة للإمام المجدد ، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله تعالى، وكان هذا المجلس في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من جمادى الآخرة للعام السابع والثلاثين بعد المئة الرابعة وألف للهجرة

الطالب :

قال المؤلف رحمه الله تعالى :"ودليل الصالحين قوله تعالى" أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه" .

الشيخ:

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن إتبع هداه ، أما بعد، فمازلنا مع القاعدة الثالثة من القواعد الأربعة ، ووصلنا فيها إلى قول المصنف:

-

" دليل الصالحين" أي دليل الذي يبين بطلان ما كان يعبده المشركون من الصالحين سواء كانوا إنسا أوكانوا جنا سواء كانوا أحياءا أوكانوا أمواتا، فهنا ذكر أن المشركين كانوا يبتغون الوسيلة ، والوسيلة عند المشركين كانت من الصالحين من الإنس أو الجن أو من الملائكة ، فكانوا يتخذونهم وسيلة تقربهم إلى الله زلفة وهذا معنى قوله تعالى: "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى "،

فشبهة قامت على ذلك كما بينا في القاعدة الثانية في مسألة القرب و الشفاعة قالوا ما عبدناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة و الشفاعة ،

 وهذه الآية فيها إبطال لهذه الشبهة ، فقد بين سبحانه أن أولئك الذين يدعونه أي يدعونه عن طريق إتخاذ هؤلاء من الصالحين وسيلة أي يدعونهم تحت دعوة أنهم يقربونهم إلى الله أو يبلغون

دعائهم إلى الله ، فبين سبحانه أن هذاليس مما يتقرب به، وأيهم أقرب فكلهم عباد مخلوقون، والله عز وجل لم يجعل العبد مهما كان صلاحه وسيلة للتقرب إليه ،

 وهذه الآية نزلت لما كان أناس من المشركين من العرب يعبدون الجن وهؤلاء الجن كانوا على الشرك ثم أسلم هؤلاء و ظل المشركون على عبادتهم ، للجن الذين كانوا مشركين ، فأسلم الجن المشركون وبقي مشركوا الإنس من العرب يعبدونهم فنزلت هذه الآية .

- الأذان؟ طيب، نكمل بعد الأذان -

الطالب:

قال رحمه الله تعالى :"ودليل الأشجار و الأحجار قوله تعالى "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " ،ودليل أبو واقد الليثي رضي الله عنه قال" خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، و للمشركين سدرة يعكفون عندها و ينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط ،فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.... "الحديث.

الشيخ :

الدليل على إبطال عبادة الأشجار و الأحجار وما ذكره المصنف .

أولا الآية: "أفرأيتم اللات والعزة ومناة الثالثة الأخرى ".

*اللات :

كان يقرأ على وجهين :اللات بالتخفيف واللات بالتشديد ،وقيل في تفسيره اللات كما قال بن عباس هو رجل كان يلت السويق للحاج، ومعنى يلت السعيق أي يخلط الدقيق بالماء للحجاج ، فلما مات عبدوه.

* العزى:

أخذها المشركون من إسم الله "العزيز"، تصغيرا له فقالوا العزى ،و هي بيت أو حجر عليه الستار وله سدنة كانوا يعبدونه أيضا في الجاهلية ، وحقيقة الأمر أن هذا البيت الذي هو من الحجر، كان فيه شيطانة أو ساحرة تسمى بالعزى والتي قتلها خالد بن الوليد لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى العزى ، كما أخرج هذا النسائي بسند صحيح أنه لما أتى إلى العزى فرأى بيتا، أو حجرا عليه ثلاث صمورات أي أشجار فقطع الثلاث صمورات ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له ارجع فإنك لم تصنع شيئا ، فرجع فإذا به بامرأة ناشرة شعرها فلما رآها خالد غمد سيفه فيها فقتلها فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزة، في حقيقة الأمر كانوا يعبدون شيطانة ، أو ساحرة فلما قتلها خالد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه حقيقة العزىفقال له تلك العزى.

" و مناة الثالثة الأخرى ":

*المناة :

هي تسمى الأصنام التي كانوا يريقون عندها الدماء من كثرة إراقة عندها الدماء مما يمنى عندها من الدماء أي من الذبائح التي يتقربون بها إلى هذه الأحجار المتمثلة في الأصنام فسمي الصنم بالمناة لأنه كان من أكثر الأصنام التي تراق عنده الدماء

.وحديث أبو واقد الليثي فيه في أن المشركين كانت لهم شجرة

"ينوطون بها أسلحتهم": أي يعلقون عليها أسلحتهم .

النوط :أي التعليق فكانوا يتبركون بهذه الشجرة يزعمون أنهم إذا علقوا أسلحتهم على هذه الشجرة أن الأسلحة تكون أمضى في القتل وفي سفك الدماء فكان هناك ممن كان حديث عهد بكفر ومن دخل في الإسلام حديثا فسألوا النبي صلى الله عليه و سلم أن يجعل لهم شجرة مثلها قالوا "إجعل لنا ذات أنواط "أي ينوطون بها أسلحتهم كما للمشركين ذات أنواط ٠

فلم يسكت النبي صلى الله عليه و سلم عن بيان هذا الأمر العظيم ، لأنه أمر يمس صميم التوحيد فبادر بالإنكار بشدة عليهم معلما إياهم ،

أن هذا القول من جنس قول بني إسرائيل لموسى إجعل لنا إلاها كما لهم آلهة ،

فبين لهم أن هذا من الشرك و في هذا ردٌّ بيّنٌ على من يدّعي أنه من الحكمة في الدعوة أن تسكت عن بيان الشرك ،

وليس هذا مما يُسكت عنه ،لك أن تبين بصورة يفهمها الذين وقعوا في ذلك ، أن تبين أو توضح لهم دون أن تصعب عليهم المسائل ،

بمسألة أخرى و لذلك كان الشرك من أعظم المنكرات ، ولن تجتمع هذه الأمة على الشرك ، فكما يقول منهج حزب الإخوان المسلمين و من تفرع عنه من الأحزاب التي سلكت هذا المسلك من مسألة إهمال التوحيد تحت دعوة تجميع الأمة و أن الأمة لن تجتمع إذا بُين لها التوحيد و بُيِّن لها الشرك ٠

هذا منهج باطل بالضرورة في دين الإسلام لا يقول به عالم أبدا عرف شيئا من العلم ، بل الذي يقول بهذالم يتعلم شيئا في دينه للأسف ٠

فهو كما يقال :"أجهل من حمار أهله" الذي يقول بهذا التأصيل أجهل من حمار أهله ٠

القاعدة الرابعة

الطالب :

قال رحمه الله تعالى ،القاعدة الرابعة :

(أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء و يُخلصون في الشِدّة و مشركوا زماننا شركهم دائما في الرخاء و الشدة و الدليل قوله تعالى (فَإذا ركِبوا في الفلكِ دَعَوا اللّهَ مُخلِصينَ له الدّينَ فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يُشركونَ) وتمت و صلى الله على محمد و آله و صحبه و سلم ٠،

الشيخ:

هذه القاعدة الرابعة بين فيها المصنف ، أن المتأخرين من المشركين أغلظ شركا من الأولين لما ذكره ، حيث أن المشركين الأوائل كانوا في حال الشدة يُخلصون الدعاء لله وحده لا يشركون فإذا ركِبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين

أي إذا شعروا بالغرق أو خافوا من الغرق أخلصوا الدعاء لله وحده و لم يدعوا المعبودات الأخرى من الأصنام أو من غيرها من الأشجار أو الصالحين أو من الملائكة إلى آخر المعبودات كانوا يدعونها من دون الله وأما إذا نجَوا و استقروا في البرِ عادوا إلى شركهم خلاف المشركين في الأزمنة المتأخرة ٠

فكان شركهم دائما في الشدة وفي غير الشدة يعني لو كانوا في حالة لا يُحتاج إلى الإستغاثة فيها بالمعبودات التي كانوا يعبدونها في حالة

الرخاء ،أي ما عندهم حاجة للإستغاثة بهذه المعبودات إذ يستغيثون بهم وكذلك في حال الشدة إذا أصاب أحدهم كربٌ أو مرض أو حاجةٌ يحتاج فيها إلى إستغاثةيستغيث فيها بمن يعبده من دون الله وهذا بخلاف المشركين الأوائل و هذا للأسف نجده و نسمعه من بعض هؤلاء نحو من إذا أصابته الشدة إذ به يبادر مستغيثا بالحسين يقول يا حسين ، أو يا عباد الله يا أولياء الله٠٠٠٠٠٠

نجوني ، يدعوهم مباشرة من دون الله إذا أصابته الشدة .

وأما المشركين الأوائل ما كانوا يفعلون ذلك كانوا إذا أصابتهم الشدة أخلصوا الدعاء لله لانهم يعلمون أن من ينجي من هذا هو الله وحده وان هذه المعبودات لا تنفعه بشئ و هذه من أكبر الحجج عليهم لماذا أخلصتم الدعاء لله في وقت الشدة؟

زالت عنهم العوائق و علموا أن الذي يملك النجاة وحده هو الله دون هذه المعبودات .

ومن المواضع التي تبين لك شرك المتأخرين أنه كان أغلظ من شرك الأوائل ما جاء في كتب المتصوفة خاصة الغلاة منهم .

أمثلة عن شرك المتأخرين :

أذكر امثلة يسيرة تبين لك عظم شرك هؤلاء أنه فاق شرك الأولين جاء في كتاب (مزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية) الطريقة التيجانية من أكثر الطرق الصوفية غلوا و انحرافاعن الإسلام وهم من بقايا التشيع و الرفض و موطنها الأصلي في الجزائر

جاء في الصفحة السابعة والعشرين بعد المئتين من هذا الكتاب قال مؤلفه :

"فالحقيقة المحمدية هي عين جميع المعارف الربانية فلم تشذ عنها شاذة منها و صورتها البشرية هي باب تلك الحقيقة فكما لاتؤخذ أحكام الله إلا من أفعال تلك الصورة البشرية

و أقوالها كما قال الله تعالى :

(ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا) كذلك لا توجد المعارف الا من تلك الحقيقة. واحوالها "

يعني جعلوا النبي صلى الله عليه و سلم له صورتان :

-صور ة بشرية التي تؤخذ منها الأحكام الظاهرة التي بلغها النبي صلى الله عليه و سلم

-و صورة أخرى هي التي منها تنبثق المعارف عن الكون فوقعوا فيما وقع فيه النصارى من وصف المسيح عليه السلام بأنه له صفتان

_صفة (ناسوتية) :وهي الصفة البشرية

-صفة لاهوتية :و هي الصفة إلاهية

وهذا من الغلو الشنيع الذي لم يقل به إلا هؤلاء الغلاة.

فاق هؤلاء النصارى في أنهم جعلوا النبي صلى الله عليه و سلم هو عين الوجود أو كما قال أحدهم:" إنسان الوجود و عين الكائنات"

أي كأنه هو الذي تنبثق منه كل الكائنات ليس المسألة أن تنبثق منه الكائنات فقط ٠

لا بل قالوا كأنه هو الوجود كله وهذا قول أهل وحدة الوجود .

و تزد الحكايات العجيبة عن هؤلاء في كتب تراجم الصوفية و ما يتعلق بها نحو:

* كتب تراجم الأولياء (الأولياء عندهم ،ليس الأولياء بالمعنى الصحيح)

* كتاب التراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المنوي

*الطبقات للصوفية للشعراني

* كتاب أخبار الأولياء الذي يسمى برسالة صفي الدين ابن ظافر

* كتاب طبقات الخواص أهل الصدق و الإخلاص لأبي العباس الزبيدي

وذكر فيه تراجم أولياء اليمن٠

ومما ذكره الزبيدي في هذا الكتاب ،في الترجمة الأولى و ترجمة أبي إسحاق إبراهيم إبن علي الفَشَلي أنه قال :

"كان الشيخ أحمد الصياد يثني عليه كثيرا و يعظمه ، و مما حكاه من مكاشفاته..."

و كلمة مكاشفات عند الصوفية : تعني ما ينكشف للولي من الغيب وهذا من الشرك، في الربوبية ،لأنهم إدعوا أمرالم يقل به نبي من قبل ، فالغيب أمر لايعلمه إلا الله عز و جل إلا ما أوحى به إلى رسول من رسله، من ارتضاه

من رسول أوملك وهذا لا يكون إلابالرسالة أو بالوحي فادعوا لأولياءهم منزلة فاقت منزلة الأنبياء و تعدت إلى الشرك في الربوبية

فقال :

"وكان من مكاشفاته أنه قال كان يكلفني في أيام البداية الأعمال الشاقة كنزع الماء ونحوه فكنت إذا خلوت شكوت ذلك إلى ربي فإذاأتيته يقول شكوتني"

-يعني و علم أن هذا الرجل الصياد هذا ، أنه كان يدعو

ربه و يشكوه كيف علم ذلك ؟ كُشِف له الغيب-

" فإذا أتيته يقول شكوتني وقلت :

ما هو كذا و كذا و يخبرني بجميع ما قلته"

و قال الشيخ أحمد الصياد:" كنت في بدايتي يُبسط لي في الكلام حتي لا أقدر أسكت إذا سكت أكاد أموت فكنت يوما أتحدث

بحضرة الفقيه إبراهيم -صاحب الترجمة -فزجرني فلم أنزجر

فقال اللهم أعقل لسانه -دعا عليه أن يعقل أي يمسك لسانه- فجئت أتكلم فلم أقدر عُقل لساني فخرجت إلى البرية فقلت يا ربي وحقك ما برحت من هذا الموضع حتى ترد علي ما وهبت لي

فرد الله علي البص الذي كان في لساني، فلما جئت إلى الفقيه فقال لي يا لص، رحت الى موضع كذا و كذا و شكوتني إلى الله "

فيعتبرون أن هذا من الكرمات عندهم أن يُكشف له الغيب ، وهذا من الغلو الذي لم يقل به أحدٌ من الرسل ولن يدعيه أحدٌ بعد الرسل ،

فالنبي صلى الله عليه و سلم نفسه و هو سيد الأولياء و سيد البشر ، كان أحيانا يأتيه رجل يسأله عن أمر لم ينزل عليه وحي فيه ،

فينتظر نزول الوحي فهو لا يعلم ، و في ليلة الإسراء و المعراج ما استطاع النبي صلى الله عليه و سلم و هو من هو في القرب من الله و سيد الأولياء أن يصف المسجد الأقصى إلا لما أتاه الله به أمامه في الكعبة ينظر إليه لما حاجه المشركون و ادعوا أنه يكذب في مسألة

الإسراء أنه أسري به إلى المسجد الأقصى فقال :"عرض امامي -أي في الكعبة -كأني أراه " فأخذ يصف لهم المسجد الأقصى صلى الله عليه وسلم .

فهذا بارك الله فيكم ،يبين لنا هؤلاءأن الصوفية الغلاة،وكذلك من تعدى ذلك من الروافض الشيعة فإنه أعظم ذلك بلا شك أغلظ شركا من المشركين الأوائل فيما وقعوا فيه خاصة في كتبهم هذه ، الروافض الشيعة أشد شركا بمراحل من هذه .

فيكفي قول الخميني الذي يعد من أواخر الروافض في زماننا لما قال: "إن أئمتنا بلغوا مقاما لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ،و ادعى أن أئمتهم لهم القدرة على التحكم في كل ذرات الكون ، فادعى الربوبية الكاملة لأئمتهم ، لهم التصرف والتحكم في كل ذرات الكون.

هذا قول الخميني ، الذي يعتبره الإخوان المسلمون إماما للمسلمين فاق شركه شرك مشركي قريش بل شرك النصارى واليهود ، أغلظ شركا وأكثر من اليهود و النصارى وكل من تبعه على هذه العقيدة له نفس الحكم.

فقال : "إن لأئمتنا مقاما لم يبلغه ملك مقرب و لا نبي مرسل ، وأنهم يتحكمون في كل ذرات الكون"

وكذلك كان من مقالاته في كتابه الذي سماه بتحرير الوسيلة :

أن تربة الحسين التربة -التي دفن فيها الحسين -هي أعظم عنده من الحرم أو من التربة التي دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وكانوا يعتبرون أن هذه التربة تربة الحسين بها تشفى الأمراض وبها يعني يفرج الكرب إلى آخر الخزعبلات التي قالوها .

بل إن الخميني هذا عليه من الله ما يستحق هو ممن أسس للشرك في أغلى صوره بخلاف هذه المقالات في كتابه الذي سماه بالحكومة الإسلامية وكذلك في تحرير الوسيلة

و في كتاب الكافي للكليني الذي يعتبره الشيعة أعظم مرجع عندهم يقدمونه على كل كتب السنة و هو يعتبر المرجع الوحيد عندهم في معرفة دينهم يقولون بوب الكليني بابا فقال فيه:

"الأئمة يعلمون ماكان وما سيكون" فادعى للأئمة مرتبة العلم المطلق التي لا تكون إلا لله وحده .

فوقع هؤلاء في الشرك في الربوبية الذي فاق شرك الأوائل ، و لهذا صدق المصنف في قوله :" إن المشركين- في الأزمنة المتأخرة- أغلظ شركا من المشركين الأولين" ، فلا جرم إذا قرأنا أن هؤلاء الملاحدة و الزنادقة من فرق التشيع و التصوف التي غلت هذا الغلو و من الفلاسفة و من حذى حذوهم أغلظ شركا من اليهود و النصارى ، كما قال العلماء المحققون .

فلذلك من أراد السلامة فعليه بالسنة و بما كان عليه السلف الصالح ، من الصحابة و التابعين أن يترك هذه الفرق و هذه الأحزاب و كل صورها

و الأحزاب السياسية نحو الإخوان المسلمين هم من من يقروا هذا و أحيانا بعضهم يدعوا إليه

كما قال التلمساني في كتابه شهيد المحراب عمر قال :

" لا حرج على من يدعو الأولياء في قبورهم " ووصف قبورهم بالقبور الطاهرة فبين أن دعاء الأولياء الذي هو الشرك الأكبر لا حرج على من فعله

كما قال الحسن البنا في الأصول العشرين الأصل الخامس عشر إن التوسل بالأموات في الدعاء مسألة فرعية ليست من أصول الدين عندهم هذا أصل عند الإخوان المسلمين و لذلك ، قام الحسن البنا بمدح المرغلي الضال الذي إدعى أنه عين الله المرغني صاحب الطريقة المرغنية في السودان الذي هو الأب الأول

له أشعار يدعي فيها أنه هو الله لأنه عندهم الوجود وحدة واحدة

فالوجود هو الله وهو كذلك ضمن هذا الوجود كما إدعى إبن العربي ذلك فقام حسن البنا بتكريم هذا الرجل وإعتبر أن الطريقة المرغانية هي إمتداد لدعوة الإخوان المسلمين في السودان ،وهذا حق لأن حسن البنا كان صوفيا يذهب إلى قبور الأموات يشد الرحال إليها في دمنهور كما إعترف بذلك في مذكرة الدعوة والداعية

قال :" كنا نمشي -أي مع الإخوان المسلمين - إلى قبر سيدي سنجر في دمنهور وإلى قبر حسنين الحصافي "يشدون الرحال إليه .

هذه حقيقة دعوة الإخوان المسلمين هي دعوة صوفية تقر الشرك الأكبر وتقر دعاء الأموات، ثم إذ بهم يضحكون على الناس ويخدعونهم يقولون نريد دولة إسلام يريدون دولة قبورية صوفية ماسونية قائمة على الشرك وقائمة على وحدة الأديان وقائمة على كل الخرافات والبدع ،التي تمت إلى دين الإسلام بصلة هذه دولتهم يريدونها والتي سفكوا من أجلها الدماء

كفانا الله شرهم وأحبط مكرهم ومكن لعباده الصالحين المتمسكين بالسنة حقا وصدقا .

وصلى الله على محمد وآله وأصحابه وسلم